قضية إثبات نبوة سيدنا محمد وعموم رسالته عند المتكلمين

الدكتور
السيد محمد عبد الحميد عبدالله
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،خلق الإنسان وكرمه ، وميزه بالعقل وشرفه ورفع قدره بالبيان وعظمه ، وأشهد أن لا اله إلا الله ، الواحد الأحد الفرد الصمد المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن جميع سمات النقص ، واشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ، اصطفاه ربه رحمة للعالمين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة ، والبراهين الواضحة ، والآيات الساطعة ، والأدلة الناصعة التي تنطق بأنه رسول العباد عند رب العباد .

واشهد أن القرآن كلام الله تعالى ،وان الحق ما نطق به فحواه ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين .

واشهد أن الأنبياء حق ، وان عصمتهم حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور .

واشهد إن جميع الأمور السمعية التي جاء بها القران الكريم والتي نطق بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حق .

وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصلى الله على أصحابه الأطهار الذين التفوا حوله واقتفوا أثره وكانوا كالبنيان المرصوص ، ورضي الله عن التابعين وتابعيهم وكل من سار على نهجهم واتبع هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فان لعلم الكلام أهمية عظيمة لأنه أعظم العلوم مقدارا، وارفعها شرفا ومنارا، وهو أساس الشرائع والأحكام ، ومقياس قواعد عقائد الإسلام ، وهو اعز ما يرغب فيه ويعرج عليه، واهم ما تناخ مطايا الطلب لديه ، لكون موضوعه اجل الموضوعات ، وغايته اشرف الغايات ، ولأنه أوثق العلوم بنيانا وأصدقها تبينا ،

وأعلاها شانا ، وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا،وأقواها برهانا، وأصحها حجة ودليلا،وأوضحها محجة وسبيلا [١] .

ومن أهم القضايا في علم الكلام الإسلامي قضية إثبات نبوة سيدنا محمد وعموم رسالته وبيان أنها رسالة باقية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها فلا نسخ لهذه الشريعة الإسلامية ولا وحى برسالة جديدة فقد تكامل الدين وتمت نعمة الله تعالى على البشر كافة.

ومن المعلوم أن في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ تمام الأصل الأول من أصول الدين الإسلامي ،لذا وجب على جميع المفكرين المسلمين المشتغلين بالدراسات الكلامية أن يدفعوا بحججهم وأدلتهم التي تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ وإذا كانت النبوة والرسالة رحمة من الله تعالى ولطف منه بعباده ، وتفضل منه سبحانه عليهم ، يبعث إليهم من يدعوهم إلى عبادته ،ويبين لهم الطريق إلي مرضاته ، ليفوزوا بالسعادة القصوى في الدنيا وبرضي الله تعالى في الآخرة ،فان نبوة سيدنا محمد ﷺ هي الصورة التامة للنعمة الكاملة والرحمة الشاملة للإنسان من حيث هو إنسان ، فهي النبوة الخاتمة ،والرسالة المهيمنة ،وهى منهاج البشرية في العقيدة والشريعة والأخلاق التي لا تتحقق بدونه سعادتها في الدنيا والآخرة [٢] [١].

ولقد تعددت الطرق وتنوعت الأدلة التي تثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منها طريق المعجزة التي تدل بالضرورة على صدقه ﷺ في دعوى النبوة، ومنها أخلاقه ﷺ ومنها أخبار الأنبياء السابقين والرسل المتقدمين بنبوته إلى غير ذلك من الطرق والبراهين التي فصلناها في هذا البحث.

وقد جاء هذا البحث مكونا من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة تتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث.

---

[١] شرح المقاصد للتفتازني ٣/١ .

[٢] راجع قضايا النبوات دا محمود عبد المعطي بركات صـ٧٢ دار الهدى للطباعة ١٩٨٤

الفصل الأول أدلة إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وقد إشتمل هذا الفصل على ستة مباحث :

المبحث الأول إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق المعجزات .

المبحث الثاني أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته .

المبحث الثالث أمية الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع خلق الله تعالى العلم الضروري بصدق النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الخامس أخبار الرسل السابقين والأنبياء المتقدمين بنبوته عليه السلام .

الفصل الثاني عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث عقيدة ختم النبوة .

والخاتمة فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

د/ السيد محمد عبد الحميد

الفصل الأول

أدلة إثبات نبوة سيدنا محمد { صلى الله عليه وسلم }

لقد استخدم المتكلمون طرقا متعددة لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فذهب المعتزلة إلى أن المعجزة سواء أكانت حسية أم عقلية هي الدليل الوحيد لإثبات صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول القاضي عبد الجبار " لا شيء يصح أن يدل على بعثة الرسل إلا المعجزات " [١] .

فالمعتزلة يقررون أن المعجزة هي الدليل الوحيد لصدق الرسول وقد وافقهم على ذلك إمام الحرمين من الأشاعرة.

يقول الإمام الجويني " إن قيل هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة ؟ قلنا ذلك غير ممكن " [٢] .

وقد استدل الإمام الجويني على ذلك بأنه لو كان هناك طريق أخر لإثبات النبوة ولم يكن خارقا للعادة أو كان خارقا لها ولم يكن مقرونا بدعوى النبوة لا يصلح دليلا على الإطلاق للاتفاق على جواز وقوع خوارق العادات من الله تعالى ابتداءا.

يقول الإمام الجويني " إن ما يقدر دليلا على الصدق لا يخلو إما أن يكون معتادا وإما أن يكون خارقا للعادة فان كان معتادا يستوي فيه البر والفاجر فيستحيل كونه دليلا وان كان خارقا للعادة يستحيل كونه دليلا دون أن يتعلق به دعوى النبي إذ كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداءا من فعل الله تعالى فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى فهو المعجزة بعينها " [٣] .

والحق أن ما ذكره الإمام الجويني لا يثبت مدعاه فهو مجرد تكرار للدعوى فقط

---

[١] المغني للقاضي عبد الجبار ١٤٨/١٥ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

[٢] الإرشاد للإمام الجويني صـ ١٣٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

[٣] الإرشاد للإمام الجويني صـ ١٣٤ وراجع شرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون صـ ٥٦٨

دون أن يأتي ببرهان يثبت به دعواه ، ولهذا ذهب جمهور الاشاعرة والماتريدية والسلف إلى أن هناك طرق كثيرة لإثبات النبوة غير المعجزة .

يقول ابن أبي العز الحنفي " لا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات فان النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين ، أو أكذب الكاذبين ، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين ، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما ، وتعرف بهما والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة " [١] .

فهناك طرق متعددة لإثبات صدق الرسول غير المعجزة إلا أن المعجزة هي طريق إثبات النبوة على المعاند والمكابر، بينما الطرق الأخرى التي سنوضحها بمشيئة الله تعالى وسائل لإثبات صدق الرسول في دعواه للنبوة عند هؤلاء الذين لم تنحرف أخلاقهم عن المنهج السليم الذي فطر الله الناس عليه .

وأياما كان الأمر فالخلاف بين إمام الحرمين وجمهور الاشاعرة ليس خلافا حقيقيا ،لأنه يمكن حمل كلام الإمام الجويني على ما يصلح دليلا للنبوة على الإطلاق وحجة على المنكرين بالنسبة إلى كل نبي حتى الذي لا نبي قبله ولا كتاب يبشر به.

وأما كلام جمهور الاشاعرة والماتريدية فيمكن حمله على ما يصلح دليلا لنبي سبقه أنبياء من الممكن أن تبشر به [٢] .

فالمعجزة هي العمدة في الاستدلال على صدق الرسول لأنها الحجة على من في قلبه مرض ،ولكن ما هي المعجزة ؟ وما شروطها ؟ وما وجه دلالتها على صدق الرسول ؟ وما هي أقسام المعجزات ؟؟

هذا ما نفصله في الصفحات القادمة

---

[١] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية علي بن أبي العز الحنفي ١٢٧/١ مكتبة المعارف ١٤٠٢ هـ

[٢] راجع شرح المقاصد للتفتازاني ١٩/٥

المبحث الأول إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق المعجزات.

يرى المتكلمون أن المعجزة تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه للنبوة، لأن النبي إنسان من البشر لا يتميز عنهم في شيء إلا باصطفاء الله تعالى له واجتباؤه واختياره إياه فكيف يصدق الناس أن هذا الإنسان مرسل من عند الله تعالى فلا بد من أن يظهر الله على يديه أمرا خارق للعادة يؤيد به صدقه وهذا الأمر هو المعجزة ، فهي الدليل الحسي المشاهد على صدق الرسول عند العقلاء فتكون حجة على من شاهدها أو نقلت إليه بطريق التواتر .

أ / تعريف المعجزة

المعجزة في اللغة إن المعجزة مأخوذة من العجز المقابل للقدرة ، وحقيقة الإعجاز إثبات العجز ، ومن هنا كان استخدام لفظ المعجز على سبيل المجاز،لان الإعجاز مستعار لإظهار العجز ، ثم اسند مجازا لما هو سبب العجز، وهو الأمر الخارق للعادة وجعل اسما له ، والتاء زائدة للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، كما في لفظ الحقيقة أو تكون للمبالغة كما في العلامة [١].

المعجزة في الاصطلاح لقد ذكر المتكلمون للمعجزة تعريفات متعددة منها :

* أن المعجزة هي الفعل الذي يدل على صدق المدعى للنبوة [٢].
* المعجزة هي ظهور أمر بخلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق مدعى النبوة مع نكول من يتحدى به عن معارضته بمثله [٣] .
* المعجزة " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة " [٤]

---

[١] راجع شرح المقاصد للتفتازانى ١١/٥

[٢] شرح الأصو ل الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ ٥٦٩ مكتبة وهبه

[٣] راجع تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي ٤٦٩/١ والهادي للعقيلي صـ ١٦٤

[٤] المحصل للإمام الرازي صـ ٢٠٧ وراجع شرح المقاصد للسعد ١١/٥

ونختار التعريف الأخير لنوضح في ضوئه مفهوم المعجزة ، فقوله أمر يتناول الفعل كنبع الماء من بين الأصابع ، ويتناول الترك مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، ويتناول القول مثل القران الكريم والأخبار عن المغيبات فكلمه " أمر " أعم وأشمل من كلمة فعل ، لكن من ذهب إلى أن المعجزة فعل جعل المعجز في عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم هو صيرورة النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير إحتراق ، وقوله " خارق للعادة " قيد خرج به الأمور العادية فلا إعجاز فيها ، واحترز بقيد مقرون بالتحدي عن كرامات الأولياء والعلامات الارهاصية التي تتقدم بعثة الأنبياء .

واحترز بقيد المعارضة عن السحر والشعوذة وغرائب المخترعات فإنها مما يعارض إذا تعلمها الناس وعرفوا أسبابها .

ب / شروط المعجزة

لقد ذكر المتكلمون للمعجزة سبعة شروط لا بد منها في تحقق كون ذلك الأمر معجزة ، وهذه الشروط هي :

الأول : أن تكون المعجزة من فعل الله تعالى وخلقه أو قائمة مقام فعله ،لان المعجزة تدل على صدق الرسول من جهة نزولها منزلة التصديق بالقول من الله تعالى ، ولو لم تكن من فعل الله تعالى لما كانت متعلقة به ، فكل ما يصنعه البشر من غرائب المخترعات أو ما يظهر على أيدي بعضهم من الشعوذة لا يكون معجزا .

الثاني : أن تكون المعجزة خارقة للعادة ، إذ لو كانت معتادة يستوي فيها البر والفاجر لما أفادت تمييزا وتنصيصا على الصادق.

الثالث : أن يتعذر على الناس معارضة هذا الأمر المعجز .

الرابع : أن يظهر على يد مدعى النبوة .

الخامس : أن تكون المعجزة موافقة لدعوى الرسول ، ولا تكون مكذبة له .

السادس : أن تكون المعجزة مقرونة بالتحدي ، ولا يجوز أن تكون متقدمة على الدعوى .

السابع : أن لا تكون في زمن نقض العادات [١].

جـ / وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول

اختلفت كلمة المتكلمين في دلالة المعجزة على صدق الرسول إلى ثلاثة أقوال وهى :

الأول : أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية وذلك لان خلق الله تعالى لهذا الأمر الخارق على وفق دعوى النبي وتحديه مع العجز عن معارضته ، وتخصيصه بذلك يدل عقلا على أن الله تعالى أراد تصديقه ، كما يدل اختصاص الفعل بالوقت المعين والمحل المعين على إرادته تعالى لذلك بالضرورة .

وإذا كان أصحاب هذا الاتجاه يرون أن دلالة المعجزة على صدق الرسول عقلية فان الآمدي يرفض ذلك لأنه يجوز أن تظهر المعجزة ولا تدل على الصدق فانه " يجوز خرق العوائد عند تصرم الدنيا كانفطار السماوات وانتثار الكواكب وتدكدك الجبال مع عدم دلالتها على تصديق مدعى النبوة فإنه لا إرسال ولا رسول في ذلك الوقت " [٢] .

والحق أننا لا نسلم بما يذكره سيف الدين الآمدى لان من ذهب إلى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقيلة قد اشترط في المعجزة أن لا تكون في زمن نقض العادات وتغير الرسوم [٣].

---

[١] راجع الإرشاد للجويني صـ ١٢٦ والعقيدة النظامية للجويني صـ ٦٣ وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ ٥٦٩ وشرح المقاصد للسعد ١٣/٥

[٢] أبكار الأفكار للآمدي تحقيق د/ أحمد المهدي ٢٥/٤ دار الكتب المصرية ٢٠٠٤ م

[٣] راجع المغني للقاضي عبد الجبار ١٧٧/١٥

فمجرد وجود الأمر الخارق لا يدل على صدق الرسول بل لا بد من خارق مخصوص مقيد بالشروط التي ذكرناها سلفا للمعجزة .

الثاني : أن دلالة المعجزة على صدق الرسول وضعية ، وذلك كدلالة الألفاظ بالوضع على معانيها ، فكلمة معجزة وضعت لكي تدل على صدق الرسول ، وكأن الله تعالى يقول من خلالها رسولي صادق فصدقوه [١].

* ولكن هل يمكن الجمع بين هذين القولين ؟؟

الحق انه يمكن إرجاع هذين القولين إلى قول واحد وهو أن الدلالة عقلية ، والاختلاف بينهما يرجع إلى تقرير كونها عقلية ، فذهب البعض إلى أن كونها عقلية معناه أن ظهور الخارق على وفق دعوى المدعى مع المعجز عن معارضته يدل عقلا على إرادة الله تصديقه ، وذهب آخرون إلى أن معناه أن الخارق موضوع للصدق ، والموضوع يدل عقلا على ما وضع له بعد ملاحظة الوضع ، ولهذا اجمع أصحاب القولين على استحالة ظهور المعجزة على يد الكاذب لما يلزم من كونها عقلية نقض الدليل العقلي بان يوجد الدليل ولا يوجد مدلوله ، فيصير الدليل شبهة ، ويصير العلم الذي استلزمه جهلا وذلك قلب للحقائق ، وأما على تقدير كونها وضعية فيلزم من ظهورها على يد الكاذب الخلف في خبره تعالى لان حكم المواضعة في الفعل حكم الكلام الصريح .

يقول الشهرستانى " الخارقة دلت بوقوعها على أن لدعاء الداعي عند الله حالة صدق ومقالة حق ، ومن كانت دعوته مستجابة عند الله يستحيل أن يكون في دعواه كاذبا علي الله ... وإذا قدر كونه كاذبا انقلبت الدلالة علي الصدق دلالة علي الكذب وهو محال لتناقضه " [٢] .

---

[١] راجع الإرشاد للإمام الجويني صـ ١٣٤ والسنوسية الكبري صـ ٤٥٩

[٢] نهاية الإقدام في علم الكلام الشهرستاني صـ ٤٢٢ وراجع شرح الحامدي علي السنوسية صـ ٤٦٠

الثالث : أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية كدلالة قرائن الأحوال على خجل الخجل ، وظهور المعجزة على يد الرسول يدل عادة على أن الله أراد تصديقه ، لان العادة جرت على أن الله تعالى يخلق العلم الضروري عقيب المعجزة .

وأصحاب هذا القول يرون أن العقل يجوز إظهار المعجزة على يد الكاذب إلا أن العادة جرت بان المعجزة لا تظهر إلا على يد الصادق ، لان الله يخلق عقبها العلم الضروري بصدق الرسول.

يقول السعد " إن ظهور المعجزة على يد الكاذب لأي غرض فرض وان جاز عقلا بناء على شمول قدرة الله ، فهو ممتنع عادة معلوم الانتفاء قطعا كما هو حكم سائر العادات وهذا ما قال به القاضي أن اقتران ظهور المعجزة بالصدق احد العاديات فإذا جوزنا انحرافها عن مجراها جاز إخلاء المعجزة عن اعتقاد الصدق وحينئذ يجوز إظهارها على يد الكاذب ، وأما بدون ذلك فلا ، لاستحالة العلم بصدق الكاذب " [1].

د / أقسام المعجزات

يرى المتكلمون أن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى قسمين :

المعجزات العقلية **المعجزات الحسية .**

والقران الكريم هو المعجزة العقلية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف كان القران الكريم معجزا ؟

بيان إعجاز القران : يرى المتكلمون أن حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون معجزة كل نبي من جنس ما غلب على أهل زمانه وتهالكوا عليه وتفاخروا به لكثرة اشتغالهم بما يتناسب مع هذه المعجزة ومن المعلوم أن العرب كانوا أساتذة في البيان وأربابا في الفصاحة وقد جاء القران الكريم بأسلوب عربي يطلب منهم

---

[1] شرح المقاصد للسعد ١٨/٥ وراجع أبكار الأفكار للآمدي ٦٣/٤ والمواقف ٢٥٢/٨ وتهذيب المنطق صـ ٩٨

أن يأتوا بمثله ويتحداهم من جنس ما برعوا فيه إلا أن العرب قد عجزت عن أن تأتى بذلك مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء ، ومع شهرتهم بغاية العصبية والحمية والجاهلية ، وكانت الآيات الدامغة تطالبهم بالتحدي وتحثهم عليه ، فطلب الله تعالى أن يأتوا بعشر سور ثم بسورة واحدة إلا أنهم عجزوا .

وقد سجل التاريخ هذا العجز على أهل اللغة في عصر نزول القران ، وما أدراك ما عصر نزول القران ؟؟ هو أزهى عصور البيان العربي ، وأرقي ادوار التهذيب اللغوي ، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها حتى أدركت هذه اللغة أشدها ، وتم لها بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها ... ولعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألداء وأباة الضيم الأعزاء ، وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته ولا سلما يصعدون به إلى مزاحمته ، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طور شامخ فما استطاعوا له نقبا ، حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف وتلك هي الحيلة يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان ، وكل من لا يستطيع دفعا عن نفسه بالقلم واللسان [1].

المعجزات الحسية

لقد ذكر المتكلمون معجزات حسية كثيرة للنبى محمد ﷺ ، حيث قد أجرى الله على يديه كثير من خوارق العادات ، وأجتمع له ﷺ ما لم يجتمع لنبى قبله ، منه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحد أكراما له ﷺ وتثبيتاً للذين أمنوا معه مثل حنين الجزع الذى كان يخطب عليه وتكثير الطعام القليل ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى .

---

[1] راجع النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز صـ ١٠٤ ، ١٠٥ وأسرار التنزيل للرازي صـ

يقول أبن الهمام : " ما ظهر على يديه من الخوارق كانشقاق القمر،وتسليم الحجر، وسعى الشجر إليه ، وحنين الجزع الذى كان يخطب عليه لما أنتقل إلى المنبر عنه ، ونبع الماء من بين أصابعه بالمشاهدة ، وشرب القوم والآبل الكثير من الماء القليل الذى مج فيه بعد ما نزحت البئر فى الحديبية وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وأكل الجم الغفير كما فى حديث أبى طلحه وكانوا ألفاً من أقراص يأكلها رجل واحد وأخبار الشاه المشوية بأنها مسمومة ، وصح فى البخارى أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يأكل " [١] .

وهذه المعجزات الحسية تحمل سمة الأعجاز فى كونها أمر خارق للعادة ولتوفر التحدى فى بعض أركانها غالباً ، ومجموعها يفيد القطع واليقين بأنه ظهر على يديه ﷺ كثيراً من خوارق العادات ، وكثير من هذه المعجزات أشتهر وأنتشر ورواه العدد الكثير ونقل بطريق التواتر .

يقول أمام الحرمين " المرضى عندنا ، أن أحاد هذه المعجزات لا تثبت تواتراً ، لكن مجموعها تفيد العلم قطعاً لاختصاصه بخوارق العادات [٢].

والحق أن هذه المعجزات تفيد اليقين بنبوة سيدنا محمد ﷺ لأن الرسول قد تحدى بالكثير من هذه المعجزات، وأن المعجزات التى لم يتحد بها فكانت تكريماً وتشريفاً لهم ﷺ ، والله تعالى جمع له ﷺ من الآيات وأعطاه من المعجزات ما لم يجتمع لأحد من الأنبياء قبلة فكان لذلك أوضحهم دلاله وأعمهم رسالة ، **ومن هذه المعجزات ما يلى :**

(١) انشقاق القمر :

أخرج البخارى فى صحيحة روايات عن أبن مسعود وأبن عباس وأنس وعبد الله بن عمر ، وحزيفة أبن اليمان ، وجبير أبن مطعم رضى الله عنهم جميعاً ، منها :

---

[١] المسايرة في علم الكلام لابن الهمام صـ ١٣٣ والإرشاد للجوينى ص ١٤٣

[٢] المسايرة في علم الكلام لابن الهمام صـ ١٣٣

" أنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ، فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ أشهدوا " [١] و " أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر حتى رأوا حراء بينهما " .

فهذه الأحاديث تفيد القطع عند الأمة بانشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ ، والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين ، وسارت أحداهما حتى صارت وراء جبل حراء ، والأخرى من الناحية الأخرى ، وصار الجبل بينهما ، وكلتا الفرقتين في السماء وأهل مكة ينظرون إلى ذلك ، وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم ، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه [٢] .

فمعجزة انشقاق القمر تفيد القطع واليقين ببنوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأمرين :

الأول : أن القرآن الكريم قد اخبر بها حيث قال تعالى ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ [سورة القمر الآيتان ١ ، ٢] .

الثاني : إن المفسرين بأسرهم اتفقوا على أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق واتفق المحدثون على إن الصحابة الذين رووا الأحاديث الخاصة بالانشقاق للقمر مقطوع بروايتهم .

(٢) تكثير الطعام القليل ببركته صلى الله علية وسلم :

يقول القاضي عبد الجبار " إشباع جماعة من الطعام لا يمكن إلا بزيادة أجزاء الطعام وذلك مما يمكن من القادرين بالقدرة، فلا بد أن يكون من جهة الله تعالى

---

[١] الحديث أخرجه الامام البخاري في صحيحه عن ابن مسعود

[٢] راجع شمائل الرسول لابن كثير صـ ١٨٤

أظهره عليه صلى الله عليه وسلم ليدل على صدقه "[1] .

نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حيث توضأ مائة ألف من كفه الشريف .

والحق إن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسية كثيرة جدا تفوق العدد والحصر منها كلام الصبيان والمراضع، وكلام الحيوان والنبات، بل والجمادات، وإبراء المرضى وغيرها كثير، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

١- أمور ثابتة في ذاته وذلك كالنور الذي كان ينقلب في أبائه إلى أن ولد ، وكولادته مختونا، واضعا إحدى يديه على عينيه والأخرى على سوأته .

٢- أمور متعلقة بصفات ، فلم يسمع منه كذب قط ، ولم يفر من أعدائه البتة وكان مستجاب الدعوة .

٣- أمور خارجة عن ذاته وصفاته وذلك كانشقاق القمر، وانقلاع الشجر وتسليم الحجر والمدر ، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى .

---

[1] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ ٥٩٥ وراجع رسائل الجاحظ (حجج النبوة) ٣/٢٦٠

المبحث الثانى

أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته

لقد أجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الحميدة والأوصاف الشريفة والسيرة المرضية والكمالات العلمية والعملية ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع ذلك كله إلا لنبى .

والحق إن خصائله صلى الله عليه وسلم وعظيم شيمه كانت دليلاً على صدقه فى قوله إنى رسول الله ، فالرسول(ص) لم يؤخذ عليه كذب قط ولا عرف منه فراراً من أعدائه ، بل كان له فى الشجاعة القدم الراسخ ، وكان عليه السلام فى حلمه ووفائه وزهده وسخائه وأمانته وشجاعته وعفافه وصدق صبره وذكاء فهمه وبارع حفظه وطهارة خلقه كله على طول الأيام وتصاريف الأحوال لا يوازيه أحد ، أفلا يكون ذلك دليلاً على أنه مؤيد من الله تعالى ، ومحفوظ بحفظه ؟ فقد نشأ على هذه السيرة المرضية وعلى تلك الكمالات الشريفة والخصال الحميدة التى لم تجتمع لأحد قبله أو اكتملت فى أحد بعده ، فدل ذلك على شرف ذاته عليه السلام وعلى علو شأنه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يصل إلى مرتبته أحد قط .

يقول ابن الهمام : " أما حاله – صلى الله عليه وسلم – فما استمر عليه من الآداب الكريمة ، والأخلاق الشريفة التى لو أفنى العمر فى تهذيب النفس لم تحصل كذلك كالحلم ، وتمام التواضع للضعفاء بعد تمام رفعته ، وانقياد الخلق له ، والصبر والعفو مع الاقتدار عن المسيء إليه ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، والجود وتمام الزهد فى الدنيا ، والخوف من الله تعالى، حتى إنه ليظهر عليه ذلك إذا عصفت الريح ، ونحوه ، ودوام فكره ، وتجديد التوبة والإنابة فى اليوم سبعين مرة كما بدا له من جلال الله وكبريائه قدر فيستقصر بنظره إليه ما هو فيه من القيام بشكره وطاعته ، والفراغ عن هوى النفس وحظوظها مما لا يقع إلا لمن استولت عليه معرفة الله تعالى حتى زهد فى نفسه حتى إنه ما انتظر لنفسه قط

إلا أن تنتهك حرم الله وما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما ، ولعمرى إن من رآه طالباً للحق لم يجنح عند مشاهدة وجهه الكريم إلى غيره لظهور شهادة طلعته المباركة بصدق لهجته وصفاء سريرته ، هذا كله مع العلم بأنه نشأ بين قوم لا يعلمون علماً ولا أدباً ، يرون الفخر ويتهالكون عليه ، والإعجاب ويتغالون فيه معبوداتهم حظوظ النفس ، لم يؤثر عنه أنه خرج عنهم إلى حبر من أهل الكتاب تردد إليه ولا حكيم عول عليه ، بل استمر بين أظهرهم إلى أن ظهر بمظهر علم واسع وحكمة بالغة مع بقائه على أميته لا يقرأ ولا يكتب " . (١)

والله تعالى قد حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته ، فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأكرمهم جواراً وأحفظهم أمانة ، وأبعدهم من الغش فى الأعمال والأقوال والأخلاق التى تندس الرجال تنزهاً وتكرماً ، وأعطاه الله عز وجل كمال بشرى من الشجاعة والصدق وقوة الإرادة وشدة البأس وسعة الصدر وحدة الذهن وذكاء القلب والعقل وطلاقة اللسان وحلاوة المنطق فلم يلقب فى قومه إلا بالصادق الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، ومع أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان قد عاش فى مجتمع فيه النقائص والمعايب والتناقضات العقدية والأخلاقية إلا أن عصمة الله له ظاهرة جلية فلم يشارك فى لهو قط ولم يسجد لصنم ألبته ، بل إن الصدق والأمانة كانا هما العلم المرفوع من أعلام النبوة منذ يومها الأول ، والذين أسلموا فى أوائل العهد المكى لم يكن يدفعهم إلى الإيمان بهذا الدين الجديد إلا يقينهم الكامل بصدق صاحب الدعوة . (٢)

---

(١) المسايرة فى علم الكلام لابن الهمام ص١٣٦ : ١٣٩ المكتبة المحمودية التجارية .

(٢) النبوة المحمدية د/ محمد سيد أحمد المسير ص٢٩ ، ٣٠ دار الاعتصام ٢٠٠٠م .

ومن هذا الطريق أسلم هرقل ملك الروم بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين سأل أبا سفيان عدة أسئلة عن أخلاقه وأتباعه وما يأمرهم بـه ومـا ينهاهم عنه ، وبعد أن أجاب أبوسفيان بين لهم هرقل ما فى أخلاقـه صـلى الله عليه وسلم من وجه فى الدلالة على نبوته فقال: " سألتك هل قال أحد منكم هـذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملِك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك ، قلت رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قـال ؟ فـذكرت أن لا ، فقـد أعرف أنه لم يكن ليزر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهـم اتباع الرسل .

وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمـان حتـى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سَخْطَه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشـركوا بـه شـيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان مـا تقول حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظـن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسـلت عن قدميه " .[1]

([1]) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه حديث رقم ٧ عن عبد الله بن عباس راجـع فتح البارى ٨٨/١

وهكذا أدرك هرقل من قرائن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه صادق فى دعواه لأن هذه الاستنتاجات العقلية منها صحيحاً فى الاستدلال فهى قائمة على أساس تتبع أطوار حياته صلى الله عليه وسلم وملامح شخصيته ومن هنا قام عنده الدليل على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ونرى أن أخلاق النبى محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته الشريفة وشمائله الطاهرة ضرباً من خوارق العادات ، ونوع من أنواع المعجزات لأنه صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى والقدوة الصالحة فى حلمه ووفائه وزهده وسخائه ، وأمانته ، وشجاعته وعفافه ، وصادق صبره ، وذكاء فهمه ، وبارع حفظه ، وقوله بجوامع الكلم إذا تكلم ، ومراعاته لشرائط الصمت إذا صمت ، وتصديقه المواعيد إذا وعد ، وطهارة أخلاقه كلها صبياً وناشئاً وكهلاً ، وكان فى غاية الشفقة على قومه ، ثم كانت هذه الأخلاق الفاضلة والخصال الشريفة الطاهرة موجودة فيه على طول الأيام وتصاريف الأحوال ، لم يتغير عن شئ منها فى حاله ، ولا وجد ضد من أضدادها طول عمره ألبته ، فكان ذلك دليلاً على أن شيئاً منها لم يكن عن تكلف وكان اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات كلها على امتداد الأزمنة والدهور ، واختلاف الأحوال والأمور دليلاً على أنها من مواهب الله تعالى ليكون اجتماعها كلها وانتفاء أضدادها التى هى رذائل بأسرها عنه دلالة صادقة على أنه المؤيد لقوة سماوية والمكرم بمعونة إلهيه ليشتغل بالقيام بما فوض إليه وتحمل أعباء ما حمل عليه من أمور الرسالة إلى أصناف الخليقة والإمامة والرئاسة على جميع طبقات البرية . (١)

وصفوة القول أن تفاصيل شيمة صلى الله عليه وسلم الشريفة وشمائله العظيمة وأخلاقه الطاهرة تستدعى مجلدات .

---

(١) راجع تبصرة الأدلة فى أصول الدين لأبى المعين النسفى ١/٤٩٠ ، ٤٩١ تحقيق كلود سلامة المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٣م .

واجتماع هذه الأوصاف كلها فى النبى صلى الله عليه وسلم معجزة من المعجزات التى أيد الله تعالى بها نبيه عليه السلام فى دعواه للرسالة لأن هذه الأخلاق الفاضلة كلها لا يمكن أن يتصف بها أجاد الناس ولا تجتمع هذه الشيم الطاهرة والصفات الشريفة إلا فى نبى مؤيد بوحى الهى وببرهان سماوى .

يقول أبو المعين النسفى : " اجتماع هذه المعانى التى اجتمعت فى أخلاقه – صلى الله عليه وسلم خارج عن العادة المستمرة ، وإن كان وجود أفرادها على ما عليه العادة جائزاً فى أفراد الأشخاص وأعيان الخلق ، وكان ذلك من باب نقص العادة ، ولن يظن أن الله تعالى مع كمال حكمته يجمع هذا كله فى من يعلم أنه يتقول عليه ويدعى أن أرسله إلى عباده إفكاً منه وتخرصاً ولو كان هذا جائزاً لكان إظهار المعجزة الناقصة للعادة على يد المتنبى الكاذب فى دعواه أجوز وذلك ممتنع فكذا هذا " . (١)

فالأخلاق هى المعجزة الأولى التى دفعت الناس إلى الإيمان بالرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن وهو المعجزة الكبرى كان فى بداية الشروق ، وما زال يتنزل نجوها والقدر المنزل يومئذ كان آيات متفرقات من سورة العلق والقدر والمدثر والمزمل ... ولم يلتفت الناس إليها بعد ، وخوارق العادات التى امتن الله بها على رسوله الكريم لم تظهر وقتها ، وظل الصدق فى سويداء قلب المجتمع المكى لا يتزلزل اليقين به لسيدنا محمد حتى مع كفرهم بالرسالة ... وتدور الأيام ويخرج الرسول مهاجراً إلى المدينة ويستخلف علياً فى فراشه ليوارى عنه أعين المشركين المؤتمرين به ، وليرد عنه الودائع التى ائتمن أهل مكة الرسول عليها ، فلم يكن بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا استودعه عند الصادق الأمين ومع أن المسلمين خرجوا من مكة ، وتركوا ديارهم وأموالهم

---

(١) تبصرة الأدلة لأبى المعين النسفى ٤٩١/١ وراجع الصحائف الإلهية لمحمد بن أشرف السمرقندى ص٣٢٧ تحقيق أحمد عبد الرحمن محمود رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٧م .

بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ، فقد حرص الصادق الأمين على رد الودائـــع إلى أصحابها المشركين ، أليس هذا هو الخلق العظيم ؟! [١]

([١]) راجع النبوة المحمدية د/ محمد سيد أحمد المسير ص٣٥ .

المبحـــــث الثالث

أمية الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهـم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئـك هـم المفلحون** ﴾ . [١]

لقد وصف الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فـى هـذه الآيـة بصفات متعددة ومنها كونه أمياً ، ومعنى الأمى " هو منسوب إلى الأمة الأميـة التى هى على أصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها " . [٢]

فالأمى هو الذى على الهيئة التى نزل عليها من أمه ، ومن المعلـوم أن العرب كانت أمة أمية أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤن ، " فلم يكن للعرب قبل الإسلام ما يمكن أن يطلق عليه المرء فكراً فلسفياً ولم يكن لديهم اهتماماً بالتعليل أو محاربة التقليد والخرفات ، أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج فيمـا كان منتشراً لديهم من آراء وأقاصيص " . [٣]

وأياً ما كان الأمر فإن العرب عرفوا بأنهم أمة أمية قال تعالى : " ومـن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل " . [٤]

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ٤ / ٢٨٢٧ دار الغد العربى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .

(٣) تمهيد للفلسفة د/ محمود حمدى زقزوق ص٨٩ دار المعارف ١٩٩٢م .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

يقول ابن كثير : " أى الذين حملهم على جحود الحق أنهم يقولون لـيس علينا فى ديننا حرج فى أكل أموال الأميين وهم العرب " . [١]

وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أميـاً لا علم عنده بالقراءة ولا بالكتابة ، فلم يقرأ فى كتاب ألبته ولم يتعلم مـن معلـم مطلقاً .

قال بن العباس رضى الله عنه : " كان نبيكم صلى الله عليه وسلم أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب " . [٢]

ويقول الأمام الرازى : " سمى النبى أمياً لأنه لا يكتب ، وذلك لأن الأم أصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على أصله " . [٣]

وإذا كان محمداً صلى الله عليه وسلم أمياً فإن هذه الأمية كمال فى حقـه صلى الله عليه وسلم لأنه مع كونه أمياً قد جاء بعلوم الأولين والآخرين ، وأعطاه الله عز وجل من العلوم والمعارف ما لم يصل إليه أحد من البشر .

فالقرآن العظيم الذى صنع حضارة عرفتها البشرية قد جاء به رجل أمى لم يجلس إلى معلم ولم يقرأ فى كتاب ، ولم يكتب فى قرطاس ولقد صدق الأمام البوصيرى عندما قال :

كفـاك بـالعلم فـى الأمـى معجـزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم .

إن معجزة الأنبياء السابقين كانت معجزات حسية ترتبط بشخص رسولها وقت ظهورها ، ولا تعلم إلا لمن شاهدها أو نقلت إليه تواتراً ، أما معجـزة القـرآن العظيم فهى معجزة عقلية ذاتية تحمل الدليل معها على أنها مـن عنـد الله ، ولا ترتبط بزمن ولا تختص بحياة الرسول ، وكل من أدرك أن سيدنا محمداً أمـى ، وأن القرآن سجل له البلغاء والفصحاء ، وتتلمذ عليه العلماء والفلاسفة ، وأصلح

---

(١) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٢ / ٣٧ مكتبة الصفا ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ٤ / ٢٨٢٧ .

(٣) مفاتيح الغيب للإمام الرازى ٨ / ١١٤ .

شئون الحياة بكاملها ، وبنى حضارة إنسانية يتزايد عمق إيمانه ويقينه بأن محمداً رسول الله . [١]

يقول الإمام الرازى : " هذا القرآن ممن لم يكتب ولم يقرأ عين المعجزة ، فيعرف كونه منزلاً ، وقوله تعالى (إذاً لارتاب المبطلون) فيه معنى لطيف وهو أن النبى إذا كان قارئاً كاتباً ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه ، فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه ، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب ، وعلى ما هو عليه لا وجهة فى ارتيابه فهو أدخل فى الإبطال " . [٢]

بل أن الإمام الرازى يرى أن المحققين من العلماء يذكرون أن كونه صلى الله عليه وسلم أمياً بهذا المعنى من جملة معجزاته ، ويوضح ذلك من وجوه :

- **الأول** : أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها فإنه لابد وأن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير، فكان ذلك من المعجزات .
- **الثانى** : إنه لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهماً فى أنه ربما طالع كتب الأولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة ، كان ذلك من المعجزات .
- **الثالث** : أن تعلم الخط شئ سهل فإن أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعى ، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم ، ثم إنه تعالى أتاه علوم الأولين والآخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم

---

(١) راجع النبوة المحمدية د / محمد سيد أحمد المسير ص ٣٧ .

(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازى ٢٥ / ٧٨ .

يصل إليه أحد من البشر ، ومع تلك القوة العظيمة فى العقـل والفهـم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذى يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً ، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات . [1]

---

(1) راجع مفاتيح الغيب للإمام الرازى ١٥ / ٢٥ ، ٢٦ .

المبحـــــــث الرابع

إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم عن طريق خلق الله تعالى للعلم الضرورى بصدقه قد يخلق الله تعالى العلم الضرورى عند بعض الناس بأن هذا النبى صادق فى دعواه للنبوة ، وذلك كما حدث للسيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم " والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضعيف وتعين على نوائب الحق " [1] فهذه الشهادة من أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله عنها لم تقم إلا على أساس من العلم الضرورى الذى خلقه الله تعالى فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم صادق ، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب كرامة الله وتأييده وإحسانه ولا تناسب الخزى والخزلان فمن ركبه الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه .

ومن العلم الضرورى أيضاً علم أبى بكر الصديق أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم صادق فى رسالته دون الحاجة إلى ظهور خوارق العادات علـــى يديه ، فقد كان رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته ، وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله تعالى ولهذا بمجرد ما ذكره له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم أو يتردد .

يقول ابن تيمه : " للناس فى وجه دلالة المعجزات وهى آيـــات الأنبيـــاء على نبوتهم طرقاً متعددة منهم من قال دلالتها على التصديق تعلم بالضـــرورة " ... فالنجاشى لما سمع القرآن قال إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، وكذلك أبوبكر وزيد بن حارثة وغيرهما علموا صدقه علماً ضرورياً لما

---

(1) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه حديث رقم ٣ عن أم المؤمنين عائشة رضـــى الله عنها راجع فتح البارى ١ /٧٥ دار الغد العربى ١٩٩٢م .

أخبرهم بما جاء به وقرأ عليهم ما أنزل عليه وبقى القرآن الذى قرأه آيــة ومــا يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علماً ضرورياً بأنــه صادق ، وخير الواحد المجهول من أجاد الناس قد تقترن به قرائن يعرف بهــا صدقه بالضرورة فكيف بمن عرف صدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذى لا يقوله إلا من هو من أصدق الناس . [١]

فالله تعالى قد خلق علماً ضرورياً عند هؤلاء بأن محمداً صلى الله عليــه وسلم صادق دون أن يروا معجزاته وآياته الخارقة للعادة . [٢] ولقد صدق حسان بن ثابت عندما قال :

نفس فداءًا لمن شهدت أخلاقه ... بأنــه خيــر مولــود مــن البشــر

لو لم تكن فيــه آيــة مبينــة ... كانــت بديهتــه تأتيــك بــالخبر

عمت فضائله البريــة كلهــا ... كما عم الأرض ضوء الشمس والقمر

---

(١) النبوات لابن تيميه ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

(٢) راجع المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم د / سعد الدين صــالح ص ١٩ دار الطباعــة المحمدية .

المبحث الخامس

إخبار الرسل السابقين والأنبياء المتقدمين بنبوته عليه السلام .

لقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل الأنبياء والرسل جميعاً من أجل هدف واحد وهو إثبات وحدانية الله عز وجل ووصفه بكل كمال وتنزيه عن كل نقص ، وأن كل رسول مصدقا للأخر ، كما أكد القرآن العظيم على ما يلى:-

١- أن الله تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين أتاهم الله الكتاب والحكمة بأنه كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم أمنوا به ونصروه ، وأن الأنبياء قبلوا ذلك، ومحمد ﷺ جاء مصدقاً لما معهم . قال تعالى﴿ **إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران : ٨١]

فالرسل والأنبياء مصدقون لبعضهم متكاتفون من أجل إثبات الهدف العام الذى من أجله بعثهم الله تعالى فكل واحد منهم يكمل الرسالة الإلهية للبشر حتى تصل الرسالة إلى ختامها ببعثة سيدنا محمد ﷺ ، ومن هنا يجب على أهل الكتاب أن يؤمنوا برسالة سيدنا محمد التزاما بهذا الميثاق الذى أخذ على أنبيائهم.

يقول تقى الدين الجعفرى : " نصت الأنبياء من لدن إبراهيم إلى المسيح عليهم السلام بما يشهد بنبوة محمد رسول الله ﷺ ويحقق رسالته، وأنه عليه السلام أفضل النبيين والمرسلين، فلو لم يبعث محمد ﷺ لاختلفت أقوال الأنبياء وردت شهادتهم وعكر ذلك على نبوتهم بالأبطال"[١] .

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لتقى الدين الجعفرى ٣٧٥/٢ وراجع قضايا النبوات د/ بركات ص١٣٩

٢- إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد ﷺ فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه، لأنه رسول أيده الله تعالى بالمعجزة التى تقطع بنبوته .

٣- إن إبراهيم عليه السلام قد دعا لمحمد ﷺ حيث قال تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة : ١٢٩] وقد انعقد إجماع المفسرين على أن هذا الرسول هو محمد ﷺ لأن إبراهيم عليه السلام دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين يكونون بها ، ولم يبعث الله إلى من بمكة وما حولها إلا محمداً ﷺ ، بل إن هذه الصفات الأربع التى حددها إبراهيم عليه السلام لهذا الرسول تأكد على أنه محمد ﷺ .

٤- إن القرآن العظيم قد أحتج على نبوة محمد ﷺ بشارات التوراة والإنجيل، وألزم أهل الكتاب على وجوب الإيمان به عليه السلام تصديقاً لما معهم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

يقول الأمام الرازى : "هذا يدل على نعته وصحة نبوته، مكتوب فى التوراة والإنجيل ، لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله، لأن الأصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكوراً فى التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته" [١] .

والحق أنه قد ورد فى الكتب السماوية السابقة ما يفيد البشارة بنبوة سيدنا محمدﷺ واحتوى الكتاب المقدس – على الرغم مما تعرض له من التبديل

---

(١) مفاتيح الغيب للأمام الرازى ٢٦/١٥

والتحريف – على الكثير من النبوءات التى تبشر بالنبى الخاتم، وأمن به الكثير من اليهود والنصارى، فشهد هرقل ملك الروم له عليه السلام بالرسالة، حين جاءه كتاب النبى ﷺ مع دحيه الكلبى بعد أن سأل عن نسبه وأخلاقه ودعوته وأتباعه، وبعد ذلك قال لأبى سفيان : (إن كان ما تقوله حقا فسيملك موضع قدمى هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) وقال: (يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبى)[1] فمن أين علم هرقل أن محمداً ﷺ سيبعث ؟؟

الحق أنه ليس لهذه المعلومات مصدراً إلا كتابهم الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام الذى بشر بسيدنا محمد ﷺ صراحة، وإذا كان هرقل قد علم وأيقن بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ولم يؤمن به فإن النجاشى ملك الحبشة قد أمن بالنبى ﷺ وقال لأحبار مملكته : (يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون فى أبن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد انه رسول الله الذى بشر به عيسى أبن مريم ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه)[2].

وآيا ما كان الأمر فإن هناك كثير من النصوص التوراتيه والإنجيلية وردت فى صفة الرسول ﷺ

أبقاها الله عز وجل لتكون حجة على اليهود والنصارى، ومن هذه النصوص والأدلة ما يلى:-

الدليل الأول : جاء فى التوراة على لسان سيدنا موسى عليه السلام ما نصه: "قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل

---

(1) الحديث أخرجه الأمام البخارى فى صحيحة حديث رقم ٧ عن عبدالله بن عباس فتح البارى ١٩٦/١

(2) الحديث أخرجه أبوداود فى سننه رقم ٣٢٠٥

كلمى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به بأسمى انا أطالبه وأما النبى الذى يطغى فيتكلم بأسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم ألهه أخرى فيموت ذلك النبى وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى بأسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه"[١] .

فهذا الدليل من التوراة يتحدث عن نبى عظيم يأتى من بعد سيدنا موسى عليه السلام ويوضح أن لهذا النبى عدة صفات وهى لا يمكن أن تنطبق إلا على رسول الله محمد ﷺ ، وهذه الصفات بيانها كما يلى :-

١- أن هذا الإنسان المبعوث نبى ومن المعلوم أن النصارى يدعون للمسيح الإلهية فكيف يدعون بعد ذلك أن هذه البشرى خاصة بعيسى عليه السلام ؟![٢]

٢- أن المبشر به من أخوة بنى إسرائيل وهم أولاد إسماعيل ولم يبعث منهم نبى غير محمد ﷺ.

يقول تقى الدين الجعفرى: (أعلم أن أخوة بنى إسرائيل هم ولد إسماعيل، ولا يجوز أن يكون هذا النبى المذكور من بنى إسرائيل البتة، لأن الله تعالى يقول لموسى نبى مثلك ولم يبعث من بنى إسرائيل نبى مثل موسى جاء بكتاب منزل وشرع مبتدأ، فوجب أن يكون من ولد إسماعيل، ولم يقم من ولد إسماعيل من يمكن تنزيل هذه الوعد الحق عليه سوى رسول الله فلو لم يبعث محمد ﷺ لأخلفته أقوال التوراة وخبر الله تعالى محاشى عن الخلف، بل قوله الحق ووعده الصدق سبحانه وتعالى)[٣] .

---

(١) سفر التثنية الإصحاح ١٨/١٧: ٢٢ .

(٢) راجع سفر أعمال الرسل ٣/٢٢ : ٢٦ .

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لتقى الدين الجعفرى ٢/٣٧٨ وراجع الفصل لأبن حزم ١/١٩٤ .

٣- أن هذا النبى مثل موسى عليه السلام وأوجه التشابه بين سيدنا موسى وسيدنا محمد ﷺ متعددة، من ذلك ميلادهما الطبيعى وزواجهما، وكونهما صاحبا شريعة، وحال موسى فى أبناء إسرائيل كانت مماثلة لحال محمد ﷺ فى أبناء إسماعيل، فإن أبناء إسرائيل كانوا مشردين فى بلاد مصر وعبيد لملوكها ولم يجتمع شملهم إلا على يد موسى ولم تقم لهم قائمة إلا برسالته وهكذا كان حال العرب قبل الإسلام حتى أواهم الله بمحمد ﷺ وملكهم شرق الأرض وغربها[١]

٤- أن هذا النبى لا يقرأ ولا يكتب والوحى الذى يأتيه يغاير ما جاء للأنبياء قبله من ألواح مكتوبة فهى وحى شفاهى، ومن المعلوم أن أمية الرسول ﷺ من جملة معجزاته.

يقول المسعودى: " قوله اجعل كلامى فى فيه يشير إلى حفظه وحفظ أمته لكلام الله فهو فى فيهم لا يقرؤونه من الكتب كما تفعل أهل الملل ولذلك دخل التبديل فى كتبهم إذ لا يقرؤنها عن ظهر قلب كهذه الأمة" [٢]

٥- أن هذا النبى يتمكن من بلاغ كامل دينه لأنه "يكلمهم بكل ما أوصيه به" ومن المعلوم أن أخر ما نزل على محمد ﷺ ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ [المائدة : ٣] .

٦- أن من يكذب بهذا النبى فإن الله يعاقبه، ولم نر أمه بعد موسى كذبت نبيها فنزل بها من العقوبات ما نزل بمن كذب محمد ﷺ وخصوصا من كان منهم مصدقا بموسى عليه السلام مثل يهود بنى قريظة وخيبر وبنى النضير[٣].

---

(١) راجع مشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ص ٢١١، وهل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ د / منقذ السقار ص٧١ مكتبة النافذة ٢٠٠٦م وقصص القرآن د/ عبدالوهاب النجار ص٣٩٧ .

(٢) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل للمسعودى ص٣٦٠ .

(٣) راجع مشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ص٢١١ .

ومن ناحية أخرى نجد ان معاقبة الله للمكذبين لهذا النبى المبشر به تعظيم له، ولا يجوز أن يراد بالانتقام من المُنْكِر العذاب الأخروي الكائن فى جهنم لأن هذا الانتقام لا يختص بإنكار نبى دون نبى، بل يعم الجميع فحينئذ يراد بالانتقام الانتقام التشريعى، فظهر منه أن هذا النبى يكون مأموراً من جانب الله بالإنتقام من منكره وهذا لا يصدق على عيسى عليه السلام، لأن شريعته خالية عن أحكام الحدود والقصاص والجهاد[١] .

٧- إنه صرح فى هذه البشارة بأن النبى الذى ينسب إلى الله ما لم يأمره به ويتقول عليه يموت ولو لم يكن محمد ﷺ نبى حقاً لمات وقتل قبل نشر دعوته، وما قتل بل قال الله فى حقه ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[المائدة : ٦٧] وأوفى بوعده ولم يقدر على قتله أحد حتى لحق بالرفيق الأعلى ﷺ ، وعيسى عليه السلام قتل وصلب على زعم أهل الكتاب، فلو كانت هذه البشارة فى حقه لزم أن يكون نبياً كاذباً كما يدعى اليهود[٢].

٨-إن هذا النبى سوف يخبر عن كثير من المغيبات، وقد أخبر نبينا محمد ﷺ بغيب الماضى والحاضر والمستقبل الذى لم يكن لأحد علم به ولا بتفاصيله .

الدليل الثانى : تقول التوراة "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة له فأحب الشعب جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك" [٣] .

إن هذا النص يوضح لنا أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، وأنزل الأنجيل على عيسى بسعير، فقد كان عيسى يسكن بسعير قرية تسمى ناصرة، وأنزل القرآن الكريم على سيدنا محمدﷺ بمكة فإن فاران جبل بمكة كان رسول الله يتحنث فيه ويتعبد ويؤكد ذلك ما يلى:-

---

(١) راجع إظهار الحق للشيخ /رحمت الله الهندى ٢/٥١٠ .

(٢) راجع إظهار الحق للشيخ / رحمت الله الهندى ٢/٥١٢، ٥١٣ .

(٣) سفر التثنية الإصحاح ٣٣/٢ ، ٣ .

١- إن التوراة تؤكد على أن نبى الله إسماعيل قد سكن فاران وانتشر أبنائه فى هذه المنطقة.

تقول التوراة : "وكان الله مع الغلام – إسماعيل- فكبر، وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"[١]

وتقول: "هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه هى أسماؤهم بديارهم وحصونهم ... سكنوا من حويله إلى شور " [٢] فنبى الله إسماعيل وأبناؤه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله وهو يشمل أرض فاران لأن حويله منطقة فى شمال أرض اليمن بينما شور فى جنوب فلسطين[٣] ومن المعلوم أن أقامة إسماعيل كانت بمكة، فهذا نص على مبعث النبى ﷺ ، وقد قامت الأدلة التاريخية على أن فاران هى الحجاز حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبة، وحيث تفجر زمزم تحت قدميه، وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين كما نقل عنهم المؤرخ الهندى/ عبد الحق فدرياتى فى كتابة محمد فى الأسفار الدينية العالمية ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ حيرم واللاهوتى يوسيبوس فقالا بأن فاران هى مكة[٤].

يقول الجعفرى "لم يأت من جبال فاران من دعا إلى الله وأظهر أحكامه ونشر أعلامه وشرع الدين القويم ونهج للأمم الطريق المستقيم ومهد الحاج وعمر الأندية وعمر رؤس الجبال وبطون الأودية بالتلبية سوى محمد رسول الله ﷺ"[٥] .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٢٠/٢١ ، ٢١ .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٦/٢٥ : ١٨ .

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس نخبه من اللاهوتيين ص ٣٢٩ دار الثقافة .

(٤) راجع هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ د/ منقذ السقار ص ٧٩ .

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لتقى الدين الجعفرى ٣٧٨/٢ .

٢- إن هذا النص يؤكد على أن هذا الرسول سيأتى ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشريعة من الله عز وجل ومن المعلوم أن فاران لم تشهد مثل هذه الألوف من الأطهار إلا عند ظهور محمد ﷺ وأصحابه .

ويلاحظ أن التوراة قد خصت نبينا محمد ﷺ بزيادة على موسى وعيسى عليهما السلام فقالت: "وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شرعية لهم" وذلك يحتمل أحد أمرين :-

أ- انه كناية عن أصحاب رسول الله ﷺ فيكون المراد من الربوات الجماعات من الأكابر المعظمين فى الدين .

ب- أن المراد به جماعات من الملائكة، ويكون ذلك كناية عن تأيد الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ بالملائكة فى حروبه وغزواته، وتردد الملائكة إليه بالوحى والتنزيل[١] .

وأياما كان الأمر فإن هذا النص يبشر برسالة سوف تخرج من جبل فاران وهى رسالة الإسلام التى جاء بها محمد ﷺ .

الدليل الثالث : جاء فى أنجيل يوحنا ما يفيد أن المسيح يوصى تلاميذه قائلاً :(أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً أخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذى يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفة وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم ... أن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وأليه نأتى وعنده نصنع منزلاً الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى ، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى بهذا كلمتكم وأن عندكم الروح القدس الذى سيرسله الأب بأسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم كل ما قلته لكم [٢]

([١]) راجع تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للجعفرى ٣٧٨/٢ .

([٢]) أنجيل يوحنا ٢٦/١٥، ١١٤/١٦

فهذا النص يتحدث المسيح عليه السلام عن صفات النبى الذى يأتى بعده وهو سيدنا محمد ﷺ لأن لفظة (المعزى) لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد بينما كانت التراجم القديمة تضع الكلمة اليونانية (البـــارقليط) [١] ومعناها بالعربية (أحمد) وقد سأل د/ عبد الوهاب النجار الدكتور / كارلو نيلنو المستشرق الأيطالى عن كلمة (بير كليتوس)الواردة فى الأناجيل فأجابه بقولـــه أن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها المعزى فقال له أنـــى أســـأل الـــدكتور كارلو نيلنوا الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً فقال أن معناها الذى له حمداً كثير فسأله أيضاً هل ذلك يوافـــق أفعـــل التفضيل من حمد فقال نعم وهذا ما جاء فى القرآن الكريم على لسان المســـيح " ومبشراً برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد " [٢]

ولابد لنا فى هذا النص من ملاحظة أمرين :

أ- أن المسيح طلب معزياً أخراً ليمكث إلى الأبد ومن المعلوم أن ثبوت النبـــى إلى الأبد مستحيل فلم يبق إلا حمل الكلام على الشريعة التى جاء بها النبى ، وهى شريعة نبينا محمد ﷺ فهى باقية على أس قويم ومنهج من الحق مستقيم ، لاتنتهى بوفاته بل هى خالدة باقية .

ب-أن المسيح شهد بان محمداً (المعزى) روح القدس وأنه يعلم الناس كل مـــا يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، وأخبر تلاميـــذه أن ثبتـــوا علـــى وصيته فى تعظيم أمر هذا المعزى والتزام أوامره واجتناب نواهيه فـــأن الله يعطيهم ما أرادوا.

يقول تقى الدين الجعفرى :" لما قربت مدة المسيح وانتهاء مقامـــه فـــى الأرض ودنى رفعه منها حمل أصحابه هذه الأمانة ليؤدها إلى من بعده ، وكذلك

---

(١) راجع أظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ٥٣٨/٢ .

(٢) سورة الصف الآية ٦ وراجع قصص الأنبياء د/ عبد الوهاب النجار ص٣٩٨ والرســـول سعيد حوى ص٤٩٦

فعل سائر الأنبياء والرسل ولهم فى ذلك مقاصد أحدها أن يقوموا لله تعالى بما وجب من حقه فى تعظيم من عظم من أهل صفوته والثانى أن يحصلوا لأممهم على أجرين أجر الأيمان بنبى حاضر ونبي كريم مرتقب والثالث دفع الشكوك عن ضعفاء أتباع هذا النبى ، فأنه إذا أتصل بهم أن الأنبياء من المتقدمين قد تنبؤا عليه وذكره باسمة ووصفوا بلده وأرضه وقومه وميزته زالت عنه عوارض الشكوك فثبتوا فيهم " [1]

([1]) تخجيل من حرف التوراة والأنجيل لتقى الدين الجعفرى ٤١٢/٢ ، ٤١٣ .

الفصل الثانى

عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ

محمد ﷺ أرسالة الله تعالى برسالة عامة وشاملة فليس لأقليم دون الأخر ولا لجنس من البشر دون جنس ، ولكن للبشر قاطبة بل إلى الثقلين بشيراً ونذيراً ، فرسالته رسالة خالدة فى الزمان يمتد مجالها منذ مبعث الرسول محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، كما انها رسالة عامة فى المكان يمتد مجالها على المدى المكانى الكرة الأرضية كلها ، بل لو فرضنا أن بعض المكلفين يعيش فى مكان أخر لامتد إليه التكليف الإسلامى .

وإذا كان الله تعالى قد أرسل رسلا قبل سيدنا محمد ﷺ فإن رسالتهم كانت خاصة بالأمم الذين أرسلوا إليهم ولم تعم رسالة نبى قبل سيدنا محمد ﷺ جميع الناس لان العالم لم يكن قد ارتقى إلى درجة التفكير فى الآيات الكونية والنظر فى مصالحة على وجه الصواب حتى يدرك بواسطة النظر والتفكير أن الإنسان مدني بطبعه وأن أفراده فى حاجة إلى بعضهم وأن انتظامه تحت راية واحدة تظله وقانون عام يكفل مصالحة أولى به من التفرق والتقاطع والتباغض ،ولما جاء وقت إرسال سيدنا محمد ﷺ كان الإنسان قد وصل إلى كماله البشرى ، واستفاد من الحوادث الماضية ما ينبهه إلى وجوب استعمال عقلة إلى أنه هو المرجع فى الحكم ، والمميز بين صحيح القول وفاسدة وفى تلك الحالة يكون جمع الناس على كلمه واحدة وتدينهم بدين واحد يخاطب العقل ويدعوه إلى التدبر ومشاركة الحس فى تفهم المصالح عن طريق التعاون بين أفراد ذلك النوع الواحد أمراً ميسوراً .[1]

([1]) راجع القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة ص٤٣ ، ٤٤ ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٧٤ مكتبة محمد على صبيح ١٢٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، والوحى المحمدى للشيخ محمد رشيد رضا ص٢٠٢ .

فجاءت الشريعة الإسلامية تمتاز بالعموم والصلاحية للتطبيق فى كل زمان ومكان ومراعاة حال الإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه فعالجت كل متطلبات الإنسان فى جميع شئون الحياة بصورة كلية عامة تصلح للتطبيق على كل المستجدات الحياتية من خلال القياس والاجتهاد ، وتركت للمجتهدين أن يعملوا عقولهم ويقرروا ما فيه صالح الإنسان مادام لم يتعارض مع ثوابت الإسلام ، فالقاعدة العامة أن الأصل فى الأشياء الإباحه [١]

وإذا كان فى الإسلام جانب ثابت قطعى لا يقبل التغير – وهى كل ما حكم فيه القرآن والسنة حكماً قاطعاً بالتحليل أو التحريم – فان هذا الثبات وهذه القطعية هى سر عظمة الإسلام فمن المحال أن يشار إلى مدينة فى الدنيا تستطيع البقاء والمحافظة على ذاتيتها ومقوماتها واستقلالها بدون أن يكون فيها عنصر لا يقبل التغير ، وكل مدينة ليس فيها عنصر كهذا ، وكل شئ فيها قابل للنسخ والتعديل فما هى بمدينة مستقلة أصلاً وإنما هى مادة مذابة يمكن فى كل وقت أن تفرغ فى كل قالب وتشكل فى شكله .[٢]

وعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ قد أنعقد عليه الإجماع بين المسلمين لأن محمداً ﷺ لا يكذب وقد أدعى أنه رسول مبعوث إلى الثقلين وأظهر الله تعالى المعجزة مؤيدة لدعواه ، ودلالة المعجزة على صدق الرسول لا يمكن أن تتخلف لان هذه المعجزة موضوعة للصدق

والموضوع للصدق يدل عقلان على ما وضع له بعد ملاحظة الوضع ، فالمعجزة برهان يقينى على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعواه أنه رسول للناس كافة .

---

(١) راجع أنهيار الشيوعيه أمام الأسلام د/ سعد الدين السيد صالح ص١٩٤ ،١٩٥ دار الأرقم ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م

(٢) نظرية الأسلام وهدية لأبى الأعلى المودودى ص ١٧٢ بيروت ١٩٨٢ م نقلاً عن انهيار الشيوعية ص١٩٦

يقول السعد :" دلت النصوص وانعقد الإجماع على أنه ﷺ مبعوث إلى الناس كافة ، بل إلى الثقلين ، لا إلى العرب خاصة ، وأنه خاتم النبيين ، لا بنى بعده ولا نسخ لشريعته ، وأنه أفضل الأنبياء ، وأمته خير الأمم " [١]

فالمدخل الصحيح لفهم عموم الرسالة هو صدق النبوة لمحمد ﷺ بدلائلها التى ذكرناها من المعجزة العقلية والمعجزات الحسية وبشائر الأنبياء والخلق العظيم ، وحيث أن اليقين بصدق الرسالة يستلزم صدق ما يصدر عن صاحب الرسالة فى نطاق التبليغ عن الله عز وجل فأن آيات القرآن وأحاديث الرسول قاطعة فى عموم الرسالة المحمدية زمانا ومكانا ، فلا تقف عند زمن معين ولا يحدها مكان خاص ولا يخاطب بها جنس دون أخر .[٢]

ومما يؤكد عموم رسالة الإسلام أنها صادرة من العليم الخبير بكل ما يحتاجه الإنسان فى الحاضر والمستقبل ، فهى رسالة ألهيه ربانية كما أنها توافق العقل ولا تتعارض معه ، دفعت أصحابها إلى التعقل والتفكر وسايرت طبيعة الإنسان ، فالأصل فى الإنسان أنه عاقل مفكر ، ولذا فالله سبحانه وتعالى عندما يخاطبه عن طريق وحيه أنما يخاطبه بما يتسق مع طبيعته البشرية .

يقول الأستاذ العقاد :(القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتى الإشارة إليه عارضه مقتضبة فى سياق الآية بل تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة وجازمه).[٣]

وتمتاز رسالة الإسلام بأنها رسالة عالمية وإنسانية فى عقيدتها ، حيث خاطبت ملكات الاستدلال فى الإنسان ، خاطبت فيه أشرف ما تميز به وهو العقل

---

(١) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ٤٥/٥

(٢) راجع النبوة المحمدية د/ محمد سيد أحمد المسير ص٢٢٧

(٣) التفكير فريضة أسلامية – عباس محمود العقاد ص٧ بيروت ١٩٧١م وراجع قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين د/ سعد الدين السيد صالح ص٢٥١ دار الأرقم ١٩٩٠م

فعلى الإنسان أن يعمل عقله فى ظل المبادئ الأساسية للإسلام لأنه لا دين غيره يصلح له فالله قد نسخ به الشرائع السابقة وختم به الرسالات السماوية فأنهى الوصاية على العقل وأطلق سلطانه من كل ما يقيده ، وخلصه من كل تقليد يستعبده ورده إلى مملكته ليقضى فيها بحكمه وحكمته مع الخضوع لله وحده والوقوف عند شريعته ، وبهذا تم للإنسان استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر وبهما كملت له إنسانيته [1]

ومن ثم يصبح الإسلام هو الدين العالمى الشامل بحق فهو للإنسان من حيث هو إنسان ورسالته رسالة عامة لكل البشر شاملة لكل نواحى الحياة .

وإذا كانت رسالة الإسلام رسالة عالميه سانية فى عقيدتها خاطبت فى الإنسان عقله فإنها أيضاً رسالة عالمية فى أخلاقها ، إنسانية فى تشريعاتها تلبى حاجات الإنسان وتلائم طبيعته التى فطره الله عليها فلا تصادم غرائزه ولكن تسمح لها أن تعبر عن نفسها بما لايتعارض مع الأخلاق القويمة المستقيمة بحيث يظل الإنسان إنسانا ولا ينحط إلى درجة الحيوان الذى تتحكم فيه شهوته وتسيطر على عقله وأرادته .

يقول د/ محمد عبد الله دراز :" يتجلى طابع الشمول فى القانون الأخلاقي فى القرآن بوضوح لا ريبة معه لا لأن مجموع أوامره يتوجه فى حملته إلى الإنسانية جمعاء فحسب ... بل إن القاعدة الواحدة .... يجب على كل فرد أن يطبقها على نسق واحد سواء أكان تطبيقه لها على نفسه أم على الآخرين ... وسواء أكان هذا التطبيق على أقربائه أم على البعداء على الأغنياء أم على الفقراء ... وشمول الواجب القرآنى لا يعنى امتداده إلى جميع الأفراد فحسب ولكنه يستتبع كذلك تطبيقه على مختلف الظروف التى يمكن أن يوجد فيها فرد معين ... بمعنى أنه لا ينبغى أن ينحنى أمام حالتنا الذاتية لا أمام مصالحنا

---

(1) راجع رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص١٢٥ وتمهيد للفلسفة د/ محمود حمدى زقزوق ص٩٤ .

الشخصية ومن الارتياب أو مرض القلوب – كما حدثنا القرآن ألا نذعن للقانون إلى حين نفيد منه على حين يخضع له المؤمنون دون قيد أو شرط " [١]

وإذا نظرنا إلى سيدنا محمد ومنزلته بين الأنبياء أتضح لنا أنه وأن أشترك مع أخوانه الأنبياء في أن الله تعالى جملهم بالأخلاق العالية ، وحفظهم من كل النقائص البشرية ، إلا أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم امتاز بكمال تلك الأخلاق فيه أكثر من غيره ، فمن عليه بتلك النعم الكاملة التى تستتبع أثاراً تناسبها ، فالمصلحة والحكمة تقضى بأن يكون الكل خاضعين لقانون واحد ، يكفل مصالحهم ويحثهم على التعاون ، والتأخى ، لهذا جاء القرآن الكريم معلنا بعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وأنها لا تختص بزمان ولا مكان ، ولا بطائفة دون طائفة ، أنها محولة للناس من تقاطع وتباغض إلى اتحاد وألفة ومن تعدد معبودات باطلة إلى الالتفاف حول معبود واحد، هو الموجد للمخلوقات،المستحق للعبادة وهو الرحيم بهم[٢] وهناك كثير من النصوص فى القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ تؤكد عموم بعثته ﷺ وعالمية رسالته ، ومن هذه النصوص :

وقال :" تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً" [٣]

وقال :" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " [٤]

وقال :" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" [٥]

وقال :" قل يأيها الناس إنى رسول الله أليكم جميعاً " [٦]

---

(١) دستور الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبدالله دراز ص ٥٣ وما بعدها ترجمه د/ عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة ١٣٩٣هـ

(٢) راجع القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة ص ٤٤، ص٤٥

(٣) سورة الفرقان الآية رقم ١

(٤) سورة الأنبياء الآية

(٥) سورة سبأ الأيه ٢٨

(٦) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨

ويلاحظ أن كل هذه الآيات التى تؤكد عالمية الرسالة الإسلامية آيات مكية نزلت فى وقت يعيش المسلمون فيه مضطهدين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ، أفلا يعد ذلك لونا من الإعجاز القرآنى لأنه كالوعد الإلهى بأن يسرى نور الإسلام فى الأفاق كلها ؟! أو لا يكون ذلك تأكيداً على أن عالمية الإسلام ليست اجتهاد ولا أدعاء وإنما هى حقيقة مقررة مؤكدة منذ اليوم الأول لرسالة الإسلام لا تعرف تحويلها ولا تبديلا ؟! (١)

بل أن عالمية الإسلام لم تكن إلى الناس كافة فقط بل كانت موجهة إلى الثقلين الأنس والجن قال تعالى : " قل أوحى إلى أنه أستمع نفر من الجن فقالوا أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنابه ولن نشرك بربنا أحداً " (٢)

يقول الأمام الرازى :" أعلم أن قول الله تعالى (قل) أمر منه تعالى لرسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله فى واقعة الجن ، وفيه فوائد (إحداها أن يعرفوا بذلك أنه عليه السلام كما بعث إلى الإنس فقد بعث إلى الجن ثانيها : أن يعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما " سمعوا القرآن عرفوا " أعجازه ، فأمنوا بالرسول ، وثالثها : أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالأنس ورابعها :- أن يعلم أن الجن يستمعون كلا منا ويفهمون لغاتنا ، وخامسها: أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان ، وفى كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس " (٣)

وهناك كثير من الأحاديث فى السنة تقرر عموم رسالته صلى الله عليه وسلم منها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت إلى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته

---

(١) راجع النبوة المحمدية د/ محمد سيد أحمد المسير ص٢٤٥

(٢) سورة الجن الآيتان ١، ٢

(٣) مفاتيح الغيب للامام الرازى ١٥٤/٣٠

الصلاة فليصل ، وأحلت إلى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى ، وأعطيت الشفاعه ، وكان النبى يبعث فى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة " [١]

([١]) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة كتاب التيمم باب قول الله تعالى " فلم تجـدوا ماءاً فتيمموا " عن جابر بن عبدالله حديث رقم ٣٣٥ راجع فتح البارى ١٢٩/٢ .

الفصل الثالث

عقيدة ختم النبوة

إذا كانت رسالة الإسلام عامة للثقلين وشاملة لكل جوانب الحياة فإنها خاتمة لجميع الرسالات وصاحبها صلى الله عليه وسلم خاتم لجميع الرسل والأنبياء ، فلم ولن ينزل الوحى على أحد بعده ، ولا تحتاج الإنسانية إلى دين جديد لأن الله تعالى قد أتم النعمة وبلغ الدين بالإسلام إلى درجة الكمال .

قال تعالى:"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً" (١)

يقول ابن كثير :" هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبين غير نبيهم صلوات الله عليه وسلامه ، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثة إلى الأنس والجن فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين الإ ما شرعه وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف " (٢)

وعقيدة ختم النبوة بنبوة سيدنا محمد عليه السلام حقيقة لا يشك فيها مسلم فالمسلمون قد أجمعوا عليها فى كل زمان ومكان،فهى أمر معلوم من الدين بالضرورة يكفر منكرها وجاحدها لأنها عقيدة تابعة بالكتاب والسنة .

قال تعالى :"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً" (٣)

يقول الالوسى :" المراد بالنبى ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم

---

(١) سورة المائدة الآية ٣

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١٦/٣

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٠

انقطاع حدوث وصف النبوة فى أحد الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها فى هذه النشأة " [١]

فالقرآن الكريم يؤكد على أن محمد ﷺ خاتم النبيين فلا نبى بعده ، وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى لأن كل رسول نبى من غير عكس كلى ، وأما من يرى أن الرسول والنبى بمعنى واحد فيكون ختم النبوة فى الآية الكريمة بمعنى ختم الرسالة .

وإذا كان القرآن الكريم يؤكد على عقيدة ختم النبوة والرسالة بنبوة سيدنا محمد ﷺ فإن السنة النبوية المطهرة تقطع بأن محمداً ﷺ هو أخر رسول بعثه الله للعالمين بشيراً ونذيرا وأن الإنسانية لا تحتاج بعد الإسلام إلى دين جديد .

قال ﷺ " أن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنه من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هل وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين "[٢]

وقال " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت إلي الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت إلى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى فأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة [٣]

والحق أن الأصول الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية تقطع بأنه لا نبي بعد سيدنا محمد ﷺ ، فلا رسول ولا نبى بعده لأنه صرح بأنه خاتم النبيين ، وهو ﷺ صادق فى دعواه وفى تبليغه لما يوحى إليه من ربه ، ومعصوم من الكذب والتحريف فيما يتعلق بتبليغ الشرائع من الله تعالى لأن الله أيده بالمعجزات

---

(١) روح المعانى للامام الالوسى ٣٤/٢٢

(٢) الحديث أخرجة الأمام البخارى فى صحيحة باب خاتم النبيين عن أبى هريرة حديث رقم

(٣) الحديث سبق تخريجه

التى تدل على صدقة ، وصدق النبى وعصمته عن الكذب فى التبليغ أعظم دليل على ختم النبوة .

يقول أبن كثير :" من رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وأكمال الدين الحنيف له ، وقد أخبر الله فى كتابة ورسوله ﷺ فى السنة المتواترة أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم فكلها محال وضلال عند أولى الألباب ، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم أنهما كاذباً ضالان وكذلك كل مدعى لذلك إلى يوم القيامة) .[1]

وإذا كانت الأصول الدينية – القرآن الكريم والسنة النبوية والأجماع – تقطع بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين فان العقل يشهد لذلك ويؤكده ، فجميع عقائد الإسلام وعباداته ومعاملاته ونظمه وتشريعاته تقرر أن دين الإسلام هو خاتم الأديان وأن رسالته هى خاتمة الرسالات لكمالها وشمولها وعمومها وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ، فالإسلام أكمل دين وأوفاه بحاجات الإنسانية مهما تطاولت بها الأزمان وتباعدت بها الأوطان وتجددت بها الأطوار والأحوال ، وهو كذلك ملاذ الإنسانية الصامدة أمام عوامل الضعف والتقهقر ومنبع القوى الخالدة التى تمدها دائما ، وفى حركة حيه بأسباب الصلاح والقوة والتقدم .[2]

ومما يشهد لعقيدة ختم النبوة بنبوة سيدنا محمد ﷺ – بالإضافة إلى ما سبق – ما يلى :-

---

(1) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٦/٢٠٥ .

(2) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د/ عثمان عبد المنعم عيش ص ٣٠ مكتبة الأزهر ١٩٧٦م

١- أن الله تعالى أيد صدق نبيه محمد ﷺ بدليل عقلى لا يرتبط بزمان ولا مكان ولا يتوقف أعجازه على حياة النبى الذى جاء به بل يقنع العقل ويدفعه إلى التفكير والوصول إلى الحقائق ويخاطب الإنسان من حيث هو إنسان على مقتضى طبيعته ومن الجهة التى هو بها إنسان فى أى عصر وفى كل زمن .

٢- أن الله تعالى قد تعهد بحفظ الإسلام وحفظ كتابة من التبديل والتحريف ، وجعل القرآن مهيمنا على الكتب السابقة فكان ختم النبوة ملائماً لمقتضى الحال وموافقاً للسنة الطبيعية وحتمية اجتماعية حيث بقى الكتاب فانقطعت النبوة و إلا فأي معنى للتعهد الألهى بالحفظ الأبدي لرسالة عامة إذا كان من المقدر أن توجد معها أو تخلفها رسالة أخرى على يد نبي جديد ؟

وعلى أى شئ يدل حفظ المسلمين للقرآن طوال هذه القرون وفى هذه الظروف أن لم يدل فعلى أنه تحقيق فعلى للتعهد الألهى بذلك ، وإيذان بحفظ الإسلام ديناً خالداً لا ينسخه دين أخر ، ولا يخلف نبيه نبى جديد ؟ و إلا فلو كان الأمر على غير هذا الوجه فقد كان خليقاً أن يصاب القرآن بما أصيبت به الكتب السابقة من الضياع والتحريف شأن كل كتاب سماوى ينزل بعده كتاب جديد .[1]

٣- أن الله تعالى جعل المعجزات الحسية للأنبياء السابقين منفصلة عن الدعوى والمنهج الذى جاؤا به بينما جاء القرآن جامعاً بين المعجزة والرسالة ، فهو دليل صدق الرسول ﷺ وفى الوقت ذاته رسالته ومنهجه ودعواه التى جاهد عليها ، فسيدنا موسى عليه السلام كانت معجزته العصى ورسالته هى التوراة وعيسى عليه السلام كانت معجزته الطب وأحياء الموتى ومنهجه هو الإنجيل ، أما سيدنا محمد ﷺ فقد كان القرآن العظيم هو المعجزة والمنهج

---

(١) عقيدة ختم بالنبوة المحمدية د/ عثمان عبد المنعم عيش ص٢١ وراجع النبوة المحمدية د/ محمد سيد أحمد المسير ص٢٦٢

ليظل المنهج محروساً بالمعجزة وتظل المعجزة فى المنهج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .[١]

٤- أن الله تعالى جعل رسالة سيدنا محمد ﷺ رسالة شاملة لكل نواحى الحياة تحكم جميع تصرفات الإنسان ونشاطاتها وعلاقاته فى شتى النواحى الفردية والاجتماعية ، كما أنها رسالة عامة لجميع البشر فى كل زمان وكل مكان ، وهذا العموم دليل على أنها خاتمة كل الرسالات .

والخلاصة : أن عقيدة ختم النبوة حقيقة عقلية يستدل عليها العقل بصدق النبى فى دعوته وعصمته فى كل ما يبلغه عن الله ، وحقيقة واقعية تنطق بها الوقائع الثابتة فى تاريخ النبوات الصادقة فى تتابع بعضها وراء بعض ، وحقيقة موضوعيه تبدو فى حياة النبى تاريخاً باقياً ، وفى القرآن كتاباً محفوظا وفى الإسلام ديناً عاماً وشريعة كاملة وحقيقة تاريخية يشهد لها التاريخ وتزيد شهادته قوة كلما تطاولت عليها الأحقاب دون أن تصح فيها نبوة واحدة تنقضها ، وأى حقيقة أصدق من تلك التى يدل عليها العقل ، وينطق بها الواقع ويشهد لها التاريخ . [٢]

---

(١) معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى ص١٠

(٢) يراجع عقيدة ختم النبوة د/ عثمان عبد المنعم عيش ص ٢٩

الخاتمة

إن الطرق التى تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ متعددة ، فالمعجزة - أولاً - هى العمدة فى الاستدلال على صدقة لأنها الحجة على المعاند والمكابر ومن فى قلبه مرض ، والقرآن الكريم هو المعجزة العقلية له ﷺ من حيث نظمه وأسلوبه وبلاغته وأخباره عن الغيب التى لم يكن لأحد علم به إلى غير ذلك من وجوه أعجازه كما أن للرسول الكريم كثير من المعجزات الحسية ، ويمكن أثبات صدقة ﷺ بطرق أخرى مثل خلق الله تعالى العلم الضرورى بصدقه كما حدث لأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، ومنها قرائن أحواله ﷺ ، ومنها أنه عليه السلام قد أتصف بالأخلاق الحميدة واجتمعت فيه الأوصاف الشريفة التى لا يمكن أن تجتمع فى أحد من البشر غيره، وقد بشر الأنبياء والرسل بهذه الرسالة الخاتمة التى يبعث بها سيدنا محمد ﷺ النبى العربى والرسول الأمي ، وقد اختصت رسالة سيدنا محمد ﷺ بأنها رسالة خالدة فى الزمان وعامة فى المكان ، وخاتمة لجميع الرسالات ، فلا تحتاج الإنسانية بعد الإسلام إلى دين جديد ، لأن الدين بالإسلام قد وصل إلى درجة الكمال .

هذا وبالله التوفيق والله تعالى من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د/ السيد محمد عبد الحميد عبد الله

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبكار الأفكار فى أصول الدين لسيف الدين الأمدى دار الكتب ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م

٢. الأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦م.

٣. الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للإمام الجوينى تحقيق زكريا عميرات –الطابعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م .

٤. أسرار التنزيل وأنوار التأويل للإمام الرازى دار الجيل ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٥. أظهار الحق الشيخ رحمت الله الهندى – دار التراث العربى للطباعة والنشر .

٦. أعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعى دار المنار ١٤١٧هـ /١٩٩٧م

٧. الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للإمام القرطبى دار التراث ١٩٨٠م .

٨. تبصره الأدلة لأبى المعين النسفى تحقيق كلود سلامة ط المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٠م .

٩. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للقاضى الباقلانى مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٤هـ /١٩٩٣م

١٠. تمهيد للفلسفة د/ محمود حمدى زقزوق الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٩٢م .

١١. تهذيب المنطق والكلام لسعد الدين التفتازانى مطبعة السعادة ١٩١٢م .

١٢. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم د/ موريس بوكاى الفتح للإعلام العربى

١٣. حاشية إسماعيل الحامدى على شرح الكبرى للسنوسى مصطفى الحلبى ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م

١٤. دستور الأخلاق فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ /١٩٩٣م

١٥. رسائل الجاحظ – أبو عثمان عمرو الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجى – القاهرة

١٦. رسالة إبليس إلى أخوانه المناحيس للحاكم الجشمى دار المنتخب العربى ١٩٩٥م .

١٧. رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده – ط محمد على صبيح ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.

١٨. شرح الإرشاد لأبى بكر بن ميمون مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧م .

١٩. شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار مكتبة وهبه ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

٢٠. شرح الطحاويه فى العقيدة السلفية لأبى العز الحنفى مكتبة دار التراث .

٢١. شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة – عالم الكتب بيروت

٢٢. الصحائف الآلهية لمحمد بن أشرف السمرقندى تحقيق أحمد عبد الرحمن محمود رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٧م .

٢٣. عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د/ عثمان عبد المنعم عيش مكتبة الأزهر ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م

٢٤. العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية للإمام الجوينى – تحقيق محمد زاهد الكوثرى – المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٢٥. الفصل فى الملل والأهواء والنحل لأبن حزم الظاهرى تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر د/عبد الرحمن عميرة الطبعة الثانية . ط دار الجيل ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

٢٦. قاموس الكتاب المقدس – نخبة من اللاهوتيين – دار الثقافة .

٢٧. قصص الأنبياء – د/ عبد الوهاب النجار – دار الرائد العربى . بيروت .
٢٨. قضايا النبوات – د/ محمود عبد المعطى بركات. دار الهدى ١٩٨٤ م
٢٩. القلائد فى تصحيح العقائد .أحمد بن يحي المرتضى دار الكتاب الأسلامى . القاهرة .
٣٠. القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة . مطبعة العلوم ١٩٣٣م
٣١. الكتاب المقدس . الطبعة الأولى .دار الكتاب المقدس بمصر ٢٠٠٢م .
٣٢. الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى دار الفكر .
٣٣. المحصل – لفخر الدين الرازى . مكتبة الكليات الأزهرية .
٣٤. المسايرة فى علم الكلام للكمال بن الهمام – المكتبة المحمودية التجارية .
٣٥. المعجزة والأعجاز فى القرآن الكريم د/ سعد الدين السيد صالح – دار الطباعة المحمدية
٣٦. المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار . الدار المصرية للتأليف والنشر
٣٧. مفاتيح الغيب للإمام الرازى دار الفكر ١٩٩٣م .
٣٨. المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل لأبى الفضل المسعودى تحقيق د/ بكر زكى عوض مطبعة أولاد رشوان ١٩٩٣م .
٣٩. المواقف فى علم الكلام لعضد الدين الأيجى . مكتبة المتنبى القاهرة .
٤٠. النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز دار المرابطين – مصر ١٤١٧هـ /١٩٩٧م .
٤١. النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها د/ محمد سيد أحمد المسير ط دار الأعتصام ٢٠٠٠م
٤٢. نهاية الأقدام فى علم الكلام للشهرستانى مكتبة زهران .

٤٣. الهادى فى علم التوحيد – عمر بن محمد عمر العقيلي مخطـــوط بـــدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧٠علم كلام . ميكروفيلم ٠٤٠٠٩٢ .

٤٤. هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله علية و سلم د/ منقذ الســقار . مكتبة النافذة ٢٠٠٦م .

هذا عدا كثير من المراجع التى اكتفينا بذكرها فى الهامش